وقفة: مع السعادة

يطلبها كل إنسان، ويتغاياها جميع الناس، وهي لا ترى بالعين، ولا تشترى بالمال، ولا يمكن وضعها في الأدراج ولا الصناديق.

إنها السعادة، ذلك الشعور الخفي الذي يختلج بين جوانح الإنسان، فيطمئنُ قلبه، وتصفو نفسه، ويشعر بانشراح صدرٍ وارتياح ضمير.

السعادة أيها الأحبة في الله، شعور بداخل الإنسان، فينعكس على ظاهره، فتنتشر الابتسامة على الشفاه، ويأتي السرور إلى العين فيزيدها جمالاً، وينفرد الوجه، ليخبر الناظرين بأن صاحب هذا الوجه سعيدًا.

السعادة تكون للجميع، ولكن طعم السعادة مختلف، ويختلف من سبب لآخر، فبعض السعداء، سبب سعادتهم قوة إيمانهم، وصفاء عقيدتهم، وهؤلاء هم السعداء حقًا.

من هؤلاء السعداء، من يسعد بذكر الله، وتحلو حياته بسماع آيات الله، وليس ذلك بغريب على من توغل الإيمان في صدورهم، وسكن سويداء قلوبهم، إذ{ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ﴿٢٨﴾} [الرعد: ٢٨].

ومثل سابقيهم من ينعمون بالسعادة، لماذا؟{ إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَإِذَا تُلِيَتۡ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾} [الأنفال: ٢].

فيا لله أيها الأحبة، ما أجمل الحياة الإيمانية، إذ إنها حياة السعداء، فلا بالشقاء يشعرون، ولا للشقاء يعيشون، ولم يكونوا كأولئك الذين أعرضوا عن ذكر ربهم، فحلت بهم الشقوة، وأحاط بهم الضنك، واسودت معيشتهم، قال تعالى:{ وَمَنۡ أَعۡرَضَ عَن ذِكۡرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةٗ

ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ} [طه: ١٢٤، ١٢٦].

إن السعداء اليوم، هم السعداء غدًا، وأشقياء اليوم، حتمًا سيكونون من الأشقياء غدًا، ففي القرآن الكريم،{ وَمَن كَانَ فِى هَٰذِهِۦٓ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٧٢﴾} [الإسراء: ٧٢].

فهيا أيها المسلم، وهيا أيتها المسلمة، ولنكن من السعداء، فما الذي يُشقينا، ونحن نعلم بأن أمر الله قدرًا مقدورًا.

عجبًا والله عجبًا، كيف لا يكون سعيدًا، من علم أن الحياة لذة عابرة، وأن الآخرة هي دار القرار، وعجبًا كيف يشقى من توكل على الله، وأحسن الظن بربه، ورضي بقضاء الله وقدره.

السعادة هي التعلق بالله، والمداومة على تلاوة كتاب الله، والإكثار من ذكر الله، ومن الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم .

أيها الأخ الحبيب، ويا أيتها الأخت الفاضلة، مع هذه الوقفة، لا للحزن، لا للقلق، لا للتوتر، لا للهم، ولا للغم، ولا للشقاء، ولا للاضطرابات النفسية.

من اليوم، نحن سعداء، سعداء بربنا، وسعداء بديننا، وسعداء بنبينا صلى الله عليه وسلم ، وسعداء بقرآننا، وسعداء بأعمالنا الصالحة، وسعداء بما قضاه الله وقدره.

فاملأ قلبك إيمانًا وفرحًا، وكن من السعداء، وتذكر سعادة السالفين، يأوي أحدهم إلى فراشه لا يجد قوتًا يطعمه، ويتذكر أنه صلّى العشاء في جماعة فيبيتُ سعيدًا.

ويعذب أحدهم عذابًا شديدًا، فينكسر العظم، ويتمزق اللحم،

وينزف الدم، ويسيل الدمع، ويعلم أن كل ذلك في سبيل الله، فيهونُ كل شيء ويعيش سعيدًا.

فالله الله إخوتي، اطردوا الأحزان من قلوبكم، وارسموا بأنفسكم البسمة على شفاهكم، وأدخلوا السرور على غيركم، فإدخال السرور على الناس مما يُدخل إلى جنة عرضها السماوات والأرض.

لأجلك يا أخي، ولأجلك أنت، كن سعيدًا، ولأجل دينك، ولأجل والديك، ولأجل أولادك، ولأجل صحتك، ولأجل مجتمعك، فكن من السعداء.

فالسعادة ليست ثراءً فاحشًا، أو مالاً كثيرًا، أو جاهًا عظيمًا، أو سلطانًا نافذًا، أو صحة وقوة، أو عشرة من الولد، أو زوجًا لا مثيل له بالنسبة للنساء.

السعادة مع تقوى الله، قد تكون آيات من كتاب الله فتجد السعادة معها، وربما مع تقوى الله ومذقة لبنٍ تكونُ سعيدًا، أو مع تقوى الله ونومٍ هانئٍ تكون من السعداء.

فدع عنك زخارف الدنيا، وارم وراء ظهرك الهموم، وأقبل على السعداء، وكن منهم.

فاللهم أسعدنا بديننا وإيماننا، وما تفضلت به علينا، وارزقنا الرضا، يا ذا العرش المجيد.

* * *